صاعد البغدادي

وأثره في الحياة الادبية الاندلسية

(٤١٧هـ ـ ١٠٢٦م)

الدكتور محسن جمال الدين

مدرس في قسم اللغة العربية

في نهاية القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) استقبلت الاندلس شخصية عراقية • وفدت عليها من بغداد[1] تحمل بين جنبيها ذكاءً متوثباً ، ونفساً مرحة ، تزودت بروح البداهة ، وتسلحت بسلاح الادب . خزنت الطرائف الادبية فوعتها وهضمت المعرفة اللغوية وتصرفت بها .

وكان العصر الذى دخلت فيه تلك الشخصية العربية العراقية الاندلس . وهو بداية نهاية عصر الدولة الاموية . فى الجزيرة الاندلسية . وضعف سلطة الخلافة فيها ، وبدء ظهور نجم (المنصور بن ابى عامر) فى قرطبة وتوسع سلطته وسلطانه .

---

(١) راجع بغية الملتمس ـ للضبى نشره المستشرق الاسباني قديره F. Codera في المكتبة الاندلسية B. A. H. ص ٣٠٦ ـ ٣١١ رقم ٨٥٢ •

و (الضبّي) أبو جعفر أحمد بن عميره (٥٩٩هـ ـ ١٢٠٢م) اشتهر بكتابة (بغية الملتمس) في تاريخ رجال الاندلس ـ وهو ذيل (لجذوة المقتبس) للحميدي • ويشير عن وصول (صاعد البغدادي) للاندلس انه وفد اليها في حدود سنة ٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م غير ان الدكتور محمود علي مكي في تحقيقه لديوان ابن دراج القسطلي في هامش ص/١٧٣ يشير الى انه ورد الاندلس في (٣٨٢هـ اعتمادا على (الفكر الاندلسي) لانخيل بلانسيا A. G. Palancia ص/٦٦ ، وعلى بحث الاستاذ (بلاشير) R. Balacher في مجلة (اسبريس) Hesperis المجلد العاشر ص/١٥ ـ ٣٦ / ١٩٣٠ • ورواية الضبيّ أثبت وأشهر •

وقد أشادت المصادر الاندلسية المتعددة بمقدم (صاعد) فقال (الحُميدي)[٢] في جذوة المقتبس :

« ورد من المشرق صاعد ، في أيام هشام بن الحكم المؤيد[٣] وولاية المنصور بن أبي عامر[٤] في حدود الثمانين والثلاث مئة (سنة ٣٨٠هـ) .

اما صاحب (الذخيرة) ابن بسّام[٥] الذي جاء متأخرا عمن سبقه فلم يحدد سنة دخوله للاندلس بل قال فى ذخيرته عنه . « وكان قد طلع على آفاق لجزيرة (أي الاندلس) في أيام المنصور محمد ابن عامر نجماً من المشرق غرّب ، ولساناً عن العرب أغرب » .

---

(٢) راجع : جذوة المقتبس (للحميدي) ص ٢٢٣ .
و (الحميدي) ـ أبو عبدالله محمد بن فتوح الازدي الحميدي (٤٨٧هـ ـ ١٠٩٠م) كان تلميذا لابن حزم . وضع كتابه (جذوة المقتبس) وهو في بغداد . قليل القيمة في تراجم الرجال يشوبه غلط كثير أحيانا في تحديد التاريخ . وراجع الفكر الاندلسي عنه ترجمة الدكتور مؤنس ـ ص ٢١٠ ـ وجذوة المقتبس ٢٢٣ ـ ٢٢٧ .

(٣) هشام بن الحكم ـ بن عبدالرحمن الاموي . ولقبه (المؤيد) ولي الخلافة بعد أبيه . وكانت سنة تسع سنين . فاستولى على تدبير المملكة (المنصور بن ابي عامر) وأولاده من بعده . توفى هشام سنة ٣٩٩هـ . (راجع النجوم الزاهرة) ج ٤/ص ٢٢١ .

(٤) المنصور محمد بن ابي عامر . درس في قرطبة ، وتأدب بها ، واتصل بالحكم المستنصر الاموي . وتقرب من (صبح) زوجته ، وأصبح وصيا ، ومشرفا على هشام الصبي . ثم وثب على كرسي الخلافة ، وتقلب في الحكم . وتلقب (بالحاجب) غزا الاسبان (٤٠) غزوة وكان منتصرا فيها عليهم . توفي في مدينة (سالم) عام ٣٩٢هـ . بعد ان استمر حكمه ٢٦ عاما .
راجع عنه (نفح الطيب ١٩٠/٣٧٥ ـ وانباه الرواة للقفطي ج ٢/٨٥ والاعلام للزركلي ج ٧/ص/٩٩ والبيان المغرب ج ٢/ص ٤٥١ وما بعدها .

(٥) ابن بسام ـ الشنتريني (٥٤٢هـ ـ ١١٤٨م) أبو الحسن علي بن بسام من أهل (شنتْرين) في البرتغال ـ عالم ـ أديب ـ جليل . صنف كتابه المشهور (الذخيرة ـ في محاسن أهل الجزيرة) . على غرار يتيمة الدهر للثعالبي . وله كتاب مفقود اسمه الاعتماد ـ على ما صح من اشعار المعتمد بن عباد . راجع : الفكر الاندلسي ص/٢٨٨ ترجمة الدكتور مؤنس .

عصر المنصور بن ابي عامر :

كان المنصور من الشخصيات النادرة في تاريخ الاندلس • شجاعة ، وعلما ، وادبا[٦] • فهو الذي استطاع ان يقيم دعائم الدولة العربية الاسلامية هناك ، بعد ان كادت تعصف بها الفتن ، وتذهب بقوتها الثورات الداخلية والخارجية • تسلم زمام الحكم بينما كانت الخلافة الاسمية للخليفة هشام المؤيد • وقد وصفه بعض الكتّاب المتأخرين فقال عنه :

« كان المنصور رمزا لمجد الاسلام في تلك البلاد ، وذلك المجد لم يقدر للمسلمين ان يستعيدوه مرة أخرى طول تاريخهم في اسبانيا بعد انتشار سلك الدولة العامرية ، وبعد ان أضاع ورثة هذه الدولة ، ما كان المنصور قد حرص على جمع شمله طوال عشرين سنة من الجهاد المتواصل والعمل الجبار والعزيمة التي لم تعرف نصبا ولا اعياء »[٧] فتح عاصمة بلاده ، وأبواب قصره ، بوجه الوافدين اليه من الشعراء ، يسامرهم ، ويجالسهم ، ويضمّهم الى ندوته ، وقد يصحبهم في غزواته[٨] ، فذكر عنه (المراكشي) في كتابه (المعجب) قوله :[٩]

---

(٦) يستحسن مراجعة كتاب (منصور الاندلس) للاستاذ علي أدهم ط/دار احياء الكتب العربية ـ ففيه المزيد عن هذه الشخصية العربية الجبارة التي قال فيها شاعر اندلسي :

« آثاره تنبيك عن أخباره حتى كانك بالعيان تراه »
« تالله لا يأتي الزمان بمثله أبداً ولا يحمي الثغور سواه »

راجع (منصور الاندلس) ص ١٣٣/علي أدهم •

(٧) راجع مقدمة (ديوان ابن دارج) تحقيق الدكتور مكي ط ١/ ١٩٦١ دمشق ص/٤٩ •

(٨) راجع/اخبار مجالسه ـ نفح الطيب ج ٤/ص ٧٥ • والبيان المغرب ج ٢ ص ٣٧٧ وما بعدها • وجذوة المقتبس في ترجمة (صاعد) ـ والذخير لابن بسام في القسم الرابع ج ١/ص ٧ وما بعدها •

(٩) راجع ـ المعجب ـ للمراكشي ص ٣٧ وما بعدها • ط١/١٩٤٩ وعبدالواحد المراكشي ٥٨١هـ ـ ٦١٨هـ (١١٨٥ ـ ١٢٢٢م) من الشخصيات التاريخية ، في العصر الموحدي • ولد في مراكش ، ودخل الاندلس ودرس باشبيلية ـ واشتهر بكتابه (المعجب) انظر (الفكر الاندلسي) ص ٢٤٨ •

« كان محبا للعلوم مؤثرا للادب ، مفرطا في اكرام من ينسب الى شيء من ذلك ، ويفد عليه متوسلا به ، بحسب حظه منه ، وطلبه له ، ومشاركه فيه . »

ويشير (الحميدي) في جذوته . ان للمنصور بن ابي عامر[١٠] مجلسا اسبوعيا ، يجتمع فيه أهل العلوم للكلام فيها بحضرته ..

وضم بلاطه طبقة من الشعراء امثال : (صاعد البغدادي) و (ابن دراج القسطلي) و (ابن العريف) . ومن الافاضل (الزبيدي) و (العاصمي)[١١] . وفي احدى غزواته الى برشلونة عام ٣٧٤هـ ٩٨٤م . رافقه أربعون شاعرا من شعراء دولته[١٢] . وهذا الفيض منهم يدلنا على ما بلغته الحالة الادبية ، والسياسية ، والاجتماعية ، في عصره . ليكون كل واحد من هؤلاء داعية له ، ومصورا لحياته ، وراسما لانتصاراته . ولكي يقلد عصر الامويين كالناصر ، والحكم الاول[١٣] .

ولا يلحق بديوان الاعطيات من الشعراء ، الا من كان ذا موهبة وقوة شاعرية . يستطيع ان يثبت اقدامه في ميدان الادب والنقد اللذين لا يخرج منهما سالما ، الا من كان من المبدعين ، والمجددين . وفي المصادر الاندلسية أخبار طريفة عن اختبار المنصور وأهل دولته للعلماء والشعراء . كما حدث لصاعد ، وابن دراج ، والرمادي ، وابن العريف وغيرهم[١٤] .

---

(١٠) راجع ـ جذوة المقتبس ط ١٩٥٢/١ ص ٧٣ في ترجمة (محمد ابن ابي عامر) .

(١١) راجع ـ مقدمة ديوان ابن دراج القسطلي ـ للدكتور محمود مكي ص ٣٨ القسم الخامس منها .

(١٢) راجع ـ المصدر السابق . وكتاب (منصور الاندلس) لعلي أدهم في الباب الذي عقده ص ١٣٨ عن (الادب والفن في عصر المنصور) .

(١٣) راجع جذوة المقتبس ص ٧٣ ـ و (منصور الاندلس) ص ١٣٨ .

(١٤) راجع نفح الطيب ج ٣٣٦/٤ ، وابن بسام الذخيرة القسم الرابع ج ١١/١ .

وللشـــعراء الذين تسجل أسماؤهم رسميا ، في الديوان ، رواتب شهرية ، تختلف باختلاف منزلتهم ، وجودتهم وقوة عارضتهم ، وبديهتهم • وكان (لصاعد البغدادي) راتب شهري قدره ثلاثون دينارا[١٥] •

ولهذا الديوان الخاص بالشعراء ادارة موكولة الى الكاتب الاديب الناقد (عبدالله بن مسلمه)[١٦] « وعلى يديه كانت تخرج صلاتهم ورسومهم ، وعلى ترتيبه ، كانت تجري أمورهم • »[١٧]

العلاقات العلمية بين المشرق والاندلس • في هذا العصر •

لم تكن الاندلس في عصر من عصورها التاريخية المجيدة ، بعيدة في عواطفها وصلاتها عن المشـرق العربي وخاصة (بغداد) عاصمة العـالم الاسلامي الـكبيرة يومذاك • فما كان يحدث فيهـا من علوم وفنـون ، واختراع سرعان ما يقلـد ، وينقل الى (قرطبـة) عاصمة الخـلافة الاموية ، في الغرب الاسلامي العربي •

ولقد كانت (اسبانيا المسلمة)[١٨] قبل دخول (صاعد) اليها • قد شرعت بفتح أبوابها للوافدين عليهـا من المشرق • ونراها أخـذت ترحب بهم ، وخاصة في عهد (عبدالرحمن الاوسط)[١٩] • ويشـير

---

(١٥) راجع الذخيرة ـ لابن بسام ـ القسـم الرابع ج ١/ص ١١ وكذلك جذوة المقتبس ص ١٠٣ ـ ومقدمة ديوان ابن دراج ـ تحقيق مكي ص ٤٢ وما بعدها •

(١٦) راجع/جذوة المقتبس ص/٢٣٩ ـ وديوان ابن دراج ص/٤٣ •

(١٧) راجع/جذوة المقتبس ص ٢٣٩ رقم ٥٣٩ في ترجمة (عبدالله ابن مسلمة) •

(١٨) اطلـق بعض المستشرقين ومنهـم (دوزي) R. Dozy و (بروفنسال) L. Provencal على الاندلس العربية الاسلامية اسم (اسبانيا المسلمة) تمييزا لها عن مناطق اسبانيا التي لم يحتلها العرب ولغرض سياسي في نفوسهم •

(١٩) الامير عبدالرحمن الاوسط ـ بن الحكم بن هشام ٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ من الامراء الامويين الذين ضم بلاطهم في قرطبة شخصيات علمية ، وفنية امثال (زرياب البغدادي) • راجع/ادب الاندلس وتاريخها لبروفنسال ـ ترجمة شـعيره ـ ص ٦ وما بعـدها ودراستنا عن (زرياب) في (ادباء بغداديون في الاندلس) ص/٤١ •

(بروفنسال) في محاضرته الى هذا الظرف بقوله :[٢٠]

« دخلت التقاليد البغدادية ، واهملت التقاليد الشامية بعض الشيء » .

وكان للشعراء من ذلك كسب جديد . ومن المقربين اليه (ابراهيم ابن سليمان الشامي) . الذي نشـــأ في المشرق وعرف ابا نواس ، وابا العتاهية عن قرب . ثم قدم الاندلس حيث اشتهر بشعره الديني الصوفي . وينسب اليه البيت المشهور الذي قارن فيه الحياة الدنيا بنسيج العنكبوت[٢١] كما تمثلت الحضارة الاندلسية بحضارة الف ليلة وليلة البغدادية »[٢٢] .

كما لا ننسى الرحلات العلمية التي قام بهـــا طبقة من العلمـــاء الاندلسيين للمشرق تأدية لفريضة الحج ، ورغبة في طلب العلم ، ومحبة لمجاورة قبر الرسول (ص) .

وفي طيات (المكتبة الاندلسية)[٢٣] التي نشرها (قديرة) آلاف

---

(٢٠) راجع/الشـــرق الاسلامي والحضارة العـــربية الاندلسية ـ بروفنسال ص/٢١ وما بعدها .

وأدب الاندلس وتاريخها ـ بروفنسال ص/٧ /النص العربي .

(٢١) ونص البيت :

انما الدنيا كبيتٍ نسجته العنكبوت ينسب البيت السابق للامام علي بن أبي طالب (رض) من أبيات مطلعها :

انمـــا الدنيـــا فنـــاء ليس للدنيـــا ثبـــوت

راجع ديوانه ص/١٤ .

ولم نعثر على ترجمة (ابراهيم بن سليمان الشامي) في المصـــادر الاندلسية والمشرقية ، التي بين أيدينا .

(٢٢) راجع/ادب الاندلس وتاريخها ـ ص/٨ ـ النص العربي .

(٢٣) (المكتبة الاندلسية) ومختصرها B. A. H. مجموعة من الكتب النادرة التي نشـــرها وحققها وفهرســـها المستشرق الاسباني المعـــروف (فرنسيسكو قديره) F. Codera مع زميل وتلميذ له آخر اسمه (خوليان ريبرا) J. Ribera ـ ومن هذه المجموعة (الصلة لابن بشكوال ـ وتكملة الصلة لابن الابار ـ وفهرسة ابن خير الاشبيلي وغيرها .

راجع دراستنا في (العرفان) اللبنانية عام/١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ـ في (ميادين الاستشراق الاسباني ـ العربي) . وفيها اشرت عن ابحـــاث وجهود المستشرقين الاسبان في احيـــاء المخطوطات العربية الاندلسية التي تزخر بها مكاتبهم .

من أسماء الذين شدوا الرحال لطلب العلم من (قرطبة) وما جاورها حتى وصلوا الشرق الاقصى ـ ونجد في آثار بعض علماء المشرق لمحات خاطفة عن وصولهم للبلاد النائية أثبتها الجغرافي الكبير (ياقوت الحموي) في (معجم بلدانه)[٢٤] .

كما اننا نجد ان عصر (الناصر) الخليفة عبدالرحمن الاموي . احتضن العالم العراقي اللغوي (أبا علي القالي) وذلك للمنافسة التي كانت قائمة يومذاك بين بغداد ـ العباسية ومصر الفاطمية ، وقرطبة الاموية[٢٥] .

ونلاحظ أيضا انتشار الادب المشرقي ، ووضع المؤلفات عنه . (كالعقد الفريد) الذي صنفه (ابن عبد ربه) في هذه الفترة ، في مطلع القرن الرابع الهجري . والذي « اوحاه اليه كتاب عيون الاخبار » لابن قتيبة . وكتاب (الحدائق) الذي صنفه الاخوة ابناء (فرج الجياني) ـ أحمد ـ وسعيد ـ وعبدالله . وقد عارضو فيه كتاب (الزهرة) لابي داود الاصفهاني وجمعوا فيه اشعار الاندلسيين[٢٦] .

ان الجو الملائم والحياة الناعمة قد توفرا لـ (صاعد) وكثير من الادباء الذين نزحوا من المشرق الى الاندلس فاستقروا بها ونعموا بخيراتها ونالوا

---

(٢٤) راجع/معجم البلدان ط/صادر بيروت ج/١ ص ٢٠٢ و ص/ ٤٩٠ .

(٢٥) عبدالرحمن الناصر ـ (الخليفة الاموي) ابو المطرف . (٢٧٧ ـ ٣٥٠هـ) كان أول من تلقب بالخلافة من رجال الدولة الاموية . وقضى على الثورات والفتن في عصره . وضم مجلسه الكبار من جلة العلماء الاندلسيين والمشارقة .

راجع/تاريخ اسبانيا المسلمة ـ لابن الخطيب ص/٢٨/ والبيان المغرب ج ٢/ص ٢٣٤ .

ومقدمة (ديوان ابن دراج) . تحقيق الدكتور مكي ص/٣٥ والاعلام للزركلي ج ٢/٤ ط ص ٩٩ وما بعدها .

(٢٦) الفكر الاندلس ص/٦١ والاعلام ج ١/٢٠١ ومقدمة (ابن دراج القسطلي) للدكتور مكي ص ٣٥ والشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية ـ بروفنسال ص/٢٩ .

حظوة لدى خلفائها وامرائها في حين أن بعض الادباء قد خاب أمله فرجع لضعف قدرته على البقاء في المحيط الجديد والبيئة الحديثة •

صاعد وشخصيته :

ترجم لـ (صاعد) عدة مؤرخين ، منهم اندلسيون ، ومنهم مشارقة • ولقد كانت شخصية هذا الرجل موضع رأيين متنافرين • هما :

أ ـ فئة من هؤلاء • كانت تنظره بعين الارتياح والتقدير • وهؤلاء أنصاره ومقدوره •

ب ـ فئة تنظره بنظر النقد والتجريح • وهؤلاء هم خصومه ومنافسوه وسوف نشير الى بعض ، من أصحاب هذين الرأيين •

ولكن من هو صاعد ؟

وما هي نشأته وحياته ؟

ومن هم أساتذته وطلابه ؟

وهل ترك لنا أثرا يذكر في عالم الادب المشرقي أو الاندلسي ، وما هي الدوافع التي دفعته للهجرة الى بلد لا يعرف عنه شيئا الا اسمه وصيته • وهل وفت الاندلس لصاعد ، واعطته حقه وذكراه ؟ وما هي الآثار التي تركها ، واين أثرها ؟؟!

كل هذه النواحي تستوجب دراسة الموضوع ، دراسة تكشف لنا عن جوانبه الغامضة ، وحياته المليئة بالجرأة ، والثبات ، والروح الصابرة العاملة •

لقد سار المتأخرون في ترجمته على طريقة خصومه الذين عاصروه ، أو سمعوا عنه • أو نقلوا عمن سبقهم بشأنه • وجهلوا الاحوال التاريخية • والظروف السياسية ، والتنافس الذي كان يشمل جو الاندلس • ويحيط بادبائها وعلمائها • لكل من يرد اليهم من بلاد المشرق • وخاصة (بغداد) التي كانت يومذاك منارة الدنيا ، وعاصمة الاسلام ، وموطن

اللغة العربية • وفي حياة (القالي) أبي علي[٢٧] وما جرى له مع علماء الاندلس ورجالها واقع وحقيقة • اظهر لنا ان العراقيين الذين احتلوا منزلة عالية ، وصعدوا على مدارج الآداب ، والسياسة ، والرئاسة • قد وصل بعضهم الى القمة بحيث جعل خصومهم يحاولون الحط من فضلهم ، والتجاهل لقدرهم ، والجحود لعلمهم وأدبهم •

و (صاعد) هو الآخر اصابته عين المنافسة • ونفخ عليه من شرور الحسد ، وحاطته الدسائس والتهم والاقاويل • ومع كل هذا ظل صامدا بارزا متحديا • يسخر من خصومه ، ويثأر لكرامته ، وينال حقه كاملا •

من هو صاعد ؟

صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي ، الموصلي الاصل البغدادي ،[٢٨]

---

(٢٧) راجع/دراستنا عن (أبي علي القالي البغدادي) • في كتابنا (ادباء بغداديون في الاندلس) • بغداد ص/١١ وما بعدها •

(٢٨) راجع/عن ترجمته • لسان الميزان ج ٣/ص ١٦٠ ــ ١٦٣ لابن حجر العسقلاني • وميزان الاعتدال ــ في نقد الرجال ــ للذهبي الدمشقي ج ١/٤٥٣ رقم ٣٧٠٨ •
البداية والنهاية ج ١٢ ص ٢١ لابن كثير •
البيان المغرب ــ لابن عذاري ج ٢/و ج ٣ في فصل (آل عامر) •
بغية الوعاة ــ للسيوطي رقم ٢٦٧ •
روضات الجنات ص ــ ٣٣٣ ــ ٣٣٤ •
شذرات الذهب ج ٣/ص ٢٠٦ •
راجع/معجم الادباء لياقوت ج ١١/٢٨١
نفح الطيب ج ٤/٧٥ ــ ٧٣
بغية الملتمس ــ للضبّي ص/٣٠٦
المعجب ــ للمراكشي ص ١٩ ــ ٢٤
الذخيرة ــ ابن بسام المجلد الاول ــ القسم الرابع ص ٢ ــ ٣٩
جذوة المقتبس ــ الحميدي • ص ٢٢٣ ــ ٢٢٧
بروكلمن ط/العربية ــ ترجمة الدكتور نجار ج ٣/١٤٩
الصلة ــ لابن بشكوال ٢٣٥ ــ ٢٣٦
وفيات الاعيان ج ١/٢٨٧

(أبو العلاء) • والربعي – نسبة الى (ربيعة الفرس) التي كانت تسكن قرب الموصل[٢٩] •

اســـاتذته :

تلقى العلوم اللغوية ، عن الاعلام الـكبار الذين عاصروه ومنهم :

السـيرافي[٣٠] وأبو علي الفارسي[٣١] والخطابي[٣٢] والقطيعي[٣٣]

كشف الظنون – لحاجي خليفة ١٢٦١
رقم ٧٩
معجم المؤلفين – كحالة ج ٤ ص ١٨ ٣
الاعلام – للزركلي ج ٣/ص ٢٧١
الفلاكه والمفلوكين – لشهاب الدين الدلجي ص/٧٦ القاهرة
الحلل السندسية – للامير شكيب ارسلان ج ٣/ص ٢٠٦
الفكر الاندلسي – ترجمة الدكتور مؤنس فصل ١٤ ص/٦٦ وغيرها من مصادر أخرى ترجمته ، موجزا ، ومطولا •

(٢٩) ربيعة بن نزار (او ربيعة الفرس) مسـاكنها في الجزيرة والعراق • شعب عظيم ، فيه قبائل عظام ، وبطون وافخاذ ، ينتسب الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ويعرف (بربيعة الفرس) وصاعد منهم ينتهي نسبه • (راجع عن هذه القبائل (معجم قبائل العرب) قديمـا وحديثا • تأليف عمر رضا كحاله ج ٢/٤٢٤ هذا وقع الدكتور مكي في خطأ بنسب صاعد – فدعاه (صاعد بن أحمد) في مقدمته لابن دارج ص/ ١٧٣ • وصاعد هذا هو غير البغدادي • اذ ذلك عالم أندلسي توفى في طليلطله سنة ٤٦٢ وهو صاحب (طبقات الامم) • كما ان بعض المؤرخين ذكروا والده باسم (الحسين) والاصح الاعم هو (الحسن) •

(٣٠) الحسن بن علي بن عبدالله بن المرزبان (٢٨٤ – ٣٦٨هـ) (٨٩٧ – ٩٧٩م) – الملقب (بالسيرافي) أبو سعيد – نحوي ، عالم بالادب • أصله من سيراف – تفقه في عمان وسكن بغداد • من مؤلفاته (الاقناع في النحو) و (أخبار النحويين) و (البلاغة) و (شرح المقصور) و (شرح كتاب سيبويه) •

راجع عنه/الوفيات ج ١/٣٦١
انباه الرواة ج ١/٣١٣
نزهة الالباء ص/٢١١

(٣١) أبو علي الفارسي (الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي) الاصل (٢٨٨ – ٣٧٧هـ) (٨٤٣ – ٩٨٧م) • دخل بغداد • ووصل حلب •

وعثمان بن جني[٣٤] .

اما نشأته الاولى ـ فقد كانت في ديار ربيعة في الموصل فلهذا نسب لها أيضا فدعى (بالربعي) ثم انحدر الى بغداد واتصل بعلمائها الافاضل بعد ان تتلمذ على (ابن جني) الموصلي وتعلم على يديه .

وعلم ان للغة مقاما ، ولاصحابها منزلة في الاندلس . وكان مطلع القرن الرابع الهجري الذي هو بدء انفتاح أبواب الاتصالات العلمية ، والمراسلات الادبية . بين الاندلس وبغداد . وكان خلفاء الاندلس ، قد شجعوا الناس على الرحلة الى العراق . وجلب ما في خزائنه من نفائس

عاصر سيف الدولة الحمداني . له المقصور والممدود ـ وكتاب (التذكرة) و (الايضاح) .
راجع عنه/انباه الرواة ج ١/٢٧٣
نزهة الالباء ص/٢١٧
الوفيات ج ١/٣٦١

(٣٢) أحمد بن محمد (الخطابي) المسمى (أبو سليمان) فقيه محدث (٣١٩ ـ ٣٨٨هـ) (٩٣١ ـ ٩٩٨م) من اهل بست من (كابل) . له معالم السنن ، وبيان اعجاز القرآن ، واصلاح غلط المحدثين . وغريب الحديث . وشرح البخاري .
راجع عنه/انباه الرواة ج ١/١٢٥ يتيمة الدهر ج ٤/٢٣١ الوفيات ج ١/٤٥٤ .

(٣٣) أحمد بن جعفر بن مالك (أبو بكر القطيعي) عالم بالحديث كان مسند العراق في عصره (٢٧٣هـ ـ ٣٦٨هـ) (٨٧٧ ـ ٩٧٩م) . نسبته الى (قطيعه الدقيق) له « القطيعيات » في خمسة أجزاء في الحديث . راجع عنه/لسان الميزان ج ١/١٤٥ . واللباب ج ٢/٢٧٣ .

(٣٤) عثمان بن جني . الموصلي (أبو الفتح) (٣٨٢هـ ـ ١٠٠٢م) . من أئمة الادب والنحو ، وله شعر . ولد بالموصل ، وتوفى ببغداد ـ له مصنفات نفيسة منها (شرح ديوان المتنبي) و (الخصائص) في اللغة ، و (اللمع) في النحو . وله (شرح ديوان الحماسة) و (المقتضب من كلام العرب) وكان المتنبي يقول : « ابن جني اعرف بشعري مني » .
راجع عنه/ارشاد الاريب ج ٥/١٥ ـ ٣٢ . مفتاح السعادة ج ٣/١٤٠ الوفيات ج ١/٤١٠ ونزهة الالباء ص/٢٢٨ .

المخطوطات ، والتحف والذخائر • وترغيب من فيه من كبار العلماء[٣٥] الذين استهوتهم الهبات ، وجذبت نفوسهم الصلات • وما يحيط العالم هناك من الاحترام والتقدير • وخاصة اذا كان مشرقيا •

وكان (صاعد البغدادي) قد سمع بالاعطيات الجزيلة وعرف من القادمين الى بغداد – ما يلاقيه أصحاب الفضل والادب والشعر واللغة من تقدير فشد راحلة السفر ، وتوجه الى (قرطبة) الدرة اللامعة في عالم الغرب الاسلامي • ويشير الى ذلك صاحب (انباه الرواة) و (ابن خلكان)[٣٦] • « بلغه ان اللغة بالاندلس مطلوبة ، والآداب هناك مرغوب فيها ، من ملوكها ورعيتها ، فارتحل الى الاندلس ودخلها في حدود سنة ثمانين وثلثمائة • »

و (صاعد) وهو الاديب – الشاعر – اللغوي الذي تتلمذ على نخبة ممتازة من أمثال (ابن جني) و (السيرافي) و (الفارسي) لابد ان يلاقي الاحترام والتقدير – ولكن يجب ان يمر على مجالس الامتحان القرطبية ، ليعرف فيها قدره ، وتوزن فيها منزلته ، ولا نعرف بالتحقيق • البلدان التي نزلها ، واتصل بعلمائها ، قبل ان يدخل الاندلس ، اذ لم تشر المصادر التي بين أيدينا الى شيء عن ذلك ، كما لم تحدثنا عن الزمن الذي قطعه في تلك المسافة ، وهل كان بمفرده أم مع اسرته ، كما فعل (زرياب) مثلا ؟؟؟

كل هذا – مع الاسف – لم توضحه المصادر الشرقية أو الاندلسية – المغربية • لانها قل ان تتحدث عن هذه النواحي ، وتعيرها جانبا من الاهمية •

ويجدر بنا الآن – وقد واكبنا – سفرة (صاعد) ووصوله الاندلس

---

(٣٥) راجع ما أشار عنه (بروفنسال) في محاضراته ، المصدر السابق ص/٧ وما بعدها • ودراسة عن (الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية) ص/١٧ وما بعدها •

(٣٦) راجع/انباه الرواة للقفطي ط دار الكتب المصرية ج ٢/ ٨٥ – ٩٠
وفيات الاعيان ج ١/١٨١
معجم الادباء ج ١١/٢٨١

في عـام سنة ٣٨٠هـ • المصادف (٩٩٠م) • أن نقف على مجلس عقـد لامتحانه ، واختبار ذكائه ، بعد انْ استقبله (المنصور بن ابي عامر) استقبالا طيبا • ونترك الحديث لصاحب (الذخيرة) ابن بسام لوصف هذا المجلس قال :[٣٧]

اجتمع عند المنصور بن أبي عامر أعيان الاوان (كالزبيدي)[٣٨] و (العاصمي)[٣٩] و (ابن العريف)[٤٠] ومن سواهم ؟ فقال لهم المنصور : هذا الرجل الوافد علينا ـ صاعد ـ يزعم أنه متقدم في هذه الاداب التي أنتم سرجها الضاحية ، واهلتها السارية • واحب ان يمتحن ما عنده • فوجه اليه ، ودخل المجلس وقد احتفل فخجل ، فرفع المنصور مجلسه وآنسه ، وسأله عن ابي سعيد السيرافي • فزعم انه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه •

فبادره (العاصمي) ـ بالسؤال عن مسألة من الـكتاب • فلم يحضره فيها من جواب ، واعتذر ان النحو ليس جل بضاعته ، ولا رأس صناعته •

---

(٣٧) الذخيرة ـ لابن بسام القسم الرابع ج ١/ص ٦ وما بعـدها ـ ومعجم الادباء ـ ج ١٠/١٨٤ • والمعجب ـ للمراكشي ص/٣٥ والاخير يروي الحكاية التي أثبتناها بأسلوب آخر •

(٣٨) محمد بن الحسن (أبو بكر) الزبيدي ـ اديب ـ عروضي ـ شاعر ـ نحوي • سكن قرطبة • له كتاب (طبقات النحويين) و (ما يلحن فيه عوام الاندلس) ولد سنة ٣١٦ ـ توفى سنة ٣٧٩هـ • وهناك عدة أسماء ويلقب (الزبيدي) في الاندلس • وهنا اختلاف بسيط بين دخول صاعد سنة ٣٨٠هـ ـ ووفاة (الزبيدي) سنة ٣٧٩هـ راجع/معجم المؤلفين ج ٩/١٩٨ •

(٣٩) عبدالله العاصمي النحوي ـ من رجال (المنصور) العامـري المعافري •

(٤٠) الحسين بن الوليد بن نصر المعـروف (بابن العريف) أبو القاسم ، أديب ، نحوي • شاعر • أخذ العربية عن (ابن القوطية) وله رحلة للمشرق • وعاد للاندلس ـ وادب أولاد المنصور ثم توفى بطليطلة • من تصانيفه (شرح الجمل) للزجاج • راجع/معجم المؤلفين ج ٤/٦٧ وبغية الوعاة/٢٣٧ وجذوة المقتبس/١٨٢ •

فقال له الزبيدي : فما تحسن أيها الشيخ ؟

قال : حفظ الغريب .

قال : فما وزن اولق ؟[41]

فضحك صاعد وقال : أمثلي يسأل عن هذا ؟ انما يسأل عنه صبيان المكتب . قال الزبيدي : فقد سألناك ، ولا نشك أنك تجهله . فتغير لونه وقال : « أفعل » .

قال الزبيدي : صاحبكم ممخرق[42] .

قال له صاعد : اخال الشيخ صناعته الابنية ؟

قال له : أجل !

قال صاعد : وبضاعتي أنا حفظ الاشعار ، ورواية الاخبار ، وفك المعمى ، وعلم الموسيقى .

قال فناظره (ابن العريف) فظهر عليه صاعد . وجعل لا يجري في المجلس كلمة . الا أنشد عليها شعرا شاهدا ، أو أتى بحكاية تجانسها ، فازداد المنصور عجبا . »[43]

ولكن صاعد وهو ـ الاديب اللبق ـ والشاعر الفطن . لم ينس هذا الامتحان . فأراد ان يرد عليهم بما يثبت وجوده في محضر المنصور ، فسألهم عن معنى قول (أمرىء القيس) في معلقته[44] :

كأن دماء الهاديات بنحره عصارة حناء بشيب مرجل

فقالوا « هذا واضح وانما وصف فرسا أشهب عقدت عليه الوحش فتطاير دمها على صدره فجاء هكذا » .

فقال صاعد : سبحان الله أنسيتم قوله قبل هذا :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

---

(٤١) الاولق . ووزنه (فوعل) وأصوله (أ ل ق) شبه الجنون .

(٤٢) مخرق ـ بوزن (دحرج) أي موه وكذب ـ (مولدة) .

(٤٣) راجع نفح الطيب ج ٤ ص/٧٦ وما بعدها .

(٤٤) راجع شرح المعلقات السبع ـ شرح الزوزني ـ مطبعة حجازي ص/٣٧ وص/٣٢ .

قال : فبهتنا والله • وكأننا لم نقرأ هـــذا البيت قط ، واضطرنا الى سؤاله عنه •

فقال : انما اعني أحد وجهين اما انه تغشى صدره بالعرق ، وعرق الخيل أبيض فجاء مع الدم كالشيب ، واما شيئا كانت العرب تصفه ، وهو انها كانت تسم باللبن الحار في صدور الخيل ، فيتمعط ذلك الشعر وينبت مكانه شعر أبيض فأياً ما عنى من احد الوجهين فالوصف مستقيم »[٤٥] •

أثره الادبي وتلامذته :

الاديب النابه ، والشاعر الفطن ، والعالم العامل هو الذي يترك لنا أثرا في المجتمع الذي يعايشه ، والحياة الاجتماعية التي يحياها • و (صاعد البغدادي) لم يكن مجهول القدر ، والمنزلة • في مجتمعه الشرقي • فقد ذكر صاحب (لسان الميزان) ابن حجر العسقلاني[٤٦] وهو من كبار العلماء عن مقام أبي العلاء صاعد فقال عنه :

« •• وهو من رواة الحديث النبوي ، طالعت كتاب الفصوص له • » ثم يشير عن دراسته على يدي ابي سعيد السيرافي ، وابي علي الفارسي ، وعن اتصالاته بالامراء • ويذكر انه اتصل بعبدالعزيز بن يوسف ، وولاه خزانة كتبه ، وأصاب فيها خطوط العلماء ، واصولهم التي استأثروا بهـا لانفسهم ، دون الناس • اذ لابد لـكل عالم من اثيره ومجموعته الخاصة

---

(٤٥) راجع/جذوة المقتبس (للحميدي) ص ٢٢٥ في ترجمة صاعد رقم ٥٠٩
والذخيرة ــ لابن بسام القسم الرابع ــ الجزء الاول ص/٧
المعجب ــ للمراكشي ص ٣٥ ونفح الطيب للمقري • ج ٤/٧٧
و (منصور الاندلس) لعلي أدهم ص/١٣١
وتشير المصادر الاندلسية ــ كالنفح ــ وجذوة المقتبس وغيرهما على أسئلة (صاعد) لجماعة الادباء في مجلس المنصور واحراجه لهم • راجع (ص ٢٢٥ ــ ٢٢٦) جذوة المقتبس •

(٤٦) لسان الميزان/لابن حجر العسقلاني ج ٣/ــ ص/١٦٠ ــ ١٦٣ •

غير ما يدعيه للطلبة عنده »[٤٧] .

لهذا فنحن نرجح أن صاعدا لم يكن قليل الزاد من المعرفة الادبية ولم يكن من الذين يدعون المعـرفة جزافا ، دون ان تكون لديه حصيلة وخميرة من العلم ـ والاطلاع ، والذكاء ، والشخصية .

اما هجوم ادباء الاندلس وشعرائها عليه ، وخاصة الطبقة التي كانت تواكب مجالس المنصور ، فمرده الغـيرة ، والانانية الفردية ـ والطمع ، والمنافسة . لـكي تنال حظها من الاعطيات ، وتحتل منزلها من الصدارة !!

والا لو كان (صاعد) من الذين هم دون ذلك المستوى والشخصية لتجافاه المنصور ، ولاهمله ، ولم يقربه ـ في غـدوه ، ورواحه ، وفي سفراته وغزواته ، وفي مجالسه الخاصة ، وفي مقاصير حرمه ورياضه .

ولقد أثبت الدليل القاطع ، ذكاءه ، وخفة روحه وطيب معشره ، واذا ضاقت (بالحاجب المنصور) ساعات السأم ، والضجر ، والالم النفسي ـ كان صاعد نديمه الخاص وسامره المحبب المقرب[٤٨] .

ان اهم ما ادخله (صاعد اللغوي البغدادي) لبـلاد الاندلس من بضاعته الادبيـة ، وطرقه الثقافية ، المنهج العلمـي لدراسة (الشـعر الجاهلي) اذ انه كان يلقي محاضراته في (الزاهرة)[٤٩] على الطريقة التالية :

« يقرأ الطالب القصيدة ، ثم يسأله الاستاذ عن معاني الالفاظ ، ويقوم بالشرح معتمدا على قائمة من المعاني ـ يكون قد استخرجها من المعاجم العربية . » . هذا بالاضافة لاعتماد كثير من علماء الاندلس على مرويات صاعد اللغوية ـ والجغرافيـة ، ودراسة الاماكن الخاصة بالجـزيرة

---

(٤٧) المصدر السابق ص/١٦٠ .

(٤٨) راجع/عن لطائف صاعد والمنصور ومجالسه ـ الذخيرة ـ القسم الرابع ج/١ ص ٩ وما بعدها ونفح الطيب ج ٤/ص ٨١ وما بعدها .

(٤٩) الزاهرة ـ من قصور ابن ابي عامر ـ التي بناها تشبيها بقصر (الزهراء) المشاد في زمن (عبدالرحمن الناصر) . وقد وضع اسسها عام سنة ٣٦٨هـ ودخلها سنة ٣٧٠هـ .

العربية[٥٠] • كما بعث في نفوس شعراء ذلك العصر النشاط ، والحركة العلميين ـ وبزهم في روح الارتجال ، وقوته • وسنأتي على طرف من ارتجاله وطرائفه • و « حسن نيته وسريرته ، وصفاء باطنه » واخلاصه لاصحابه •

تلامذته ومريدوه :

تتلمذ على يد (صاعد البغدادي) جلة من العلماء الاندلسيين ، ذكرتهم المراجع التي ترجمته أمثال (البغية) و (الجذوة) و (الذخيرة) و (النفح) • ونحن نشير الى بعض المشهورين منهم :ـ

١ ـ (ابن حيان) مروان بن خلف بن حسين بن حيان ـ وقد اعتمد ابن حيان في مؤلفه (المقتبس) على صاعد البغدادي[٥١] •
٢ ـ (ابن سيده) أبو الحسن علي بن اسماعيل المعروف بابن سيده[٥٢] •
٣ ـ (ابن المغلس) أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد القيسي[٥٣] •
٤ ـ (القطيني) أبو تمام غالب بن عبدالله القطيني[٥٤] •

---

(٥٠) راجع/الفكر الاندلسي ترجمة الدكتور مؤنس ص/٦٦ •
(٥١) (ابن حيان) مؤرخ اندلسي كبير ، من كتّاب المنصور بن ابي عامر • ومن معاصريه • له كتب عدة منها (المآثر العامرية) و (تاريخ فقهاء قرطبة) و (المتين) ، و (المقتبس) الذي نشر قسما منه في باريس الاب ملشور انطونيا عام سنة ١٩٢٨ • وحياته تمتد من (٣٧٧ ـ ٤٦٩هـ) (٩٨٧ ـ ١٠٧٠م) •
(٥٢) (ابن سيده) من أهل مرسيه • كان عالما بفقه اللغة ـ شاعرا ، لغويا • وهو أعمى ووالده أعمى • له مؤلفات أشهرها • (المحكّم) و (المخصص) سار فيه على الطريقة الشرقية ، في وضع المعاجم (كما ذكر ذلك بروفنسال في محاضراته) • حياته تمتد من (٣٩٨هـ ـ ٤٥٨هـ) (١٠٠٧ ـ ١٠٦٦م) •
(٥٣) (ابن المغلّس) روى عن صاعد وقرأ الادب عليه بقرطبة ، رحل الى المشرق ودخل بغداد • وكان شاعرا وتوفى سنة ٤٢٧هـ •
(٥٤) (القطيني) أبو تمام غالب ـ من (قطين) بجزيرة ميورقه • رحل الى قرطبة عام سنة ٤١٤هـ • وتوفى سنة ٤٦٥هـ •

٥ ـ (ابن حزم) أبو محمد بن حزم علي بن سعيد القرطبي[٥٥] .

ومن العلماء الذين استفادوا من مؤلفات (صاعد) عمليا (الوزير الفقيه) ، أبو عبيد ـ عبدالله بن عبدالعزيز (البكري) الاندلسي المتوفى سنة ٤٨٧هـ استفاد من علومه اللغوية ، ودراسته لاسماء الامكنة والبقاع . ونجد ذلك في طيات كتابه (الشهير معجم ما استعجم) في الفصـــول التي عقدها حول (البرق) و (الدارات) و (الفصائح)[٥٦] .

منصفوه وناقدوه :

الانسان الفاضل ، والعالم اللبيب ، والاديب النابه ، لا يخلو من أنصار يؤيدونه في أقواله ، ويحتـــرمونه في آرائه . ويجعلون اسمه في المنزلة اللائقة به . أو خصوم يتهمونه بأفظع التهم ، ويحاربونه أشد المحاربة . و (صاعد البغدادي) في مصادره الاندلسية والمشرقية التي تتبعنا خطاها . نراها تتهمه وتنجده ، وتقدره وتتحامل عليه . وتخلق حوله مختلف القصص والاقاويل . ولـكنها في الغالب الاعم تجمع على ادبه ، وفضله ـ وطيبة قلبه ـ وسرعة بديهته . وحسن فطنته ، ولباقته ، وخفة روحه . و (المعري) الشاعر يقول :

« تعد ذنوبي عنـــد قوم كثـــيرة ولا ذنب لي الا العلى والفضائل »

اما منصفوه فمنهم :

(الحميدي) ـ في جذوة المقتبس و (ابن بسام) في الذخيرة .

و (المراكشي) في (المعجب) و (ابن الخطيب) في الاعلام .

---

(٥٥) (ابن حزم) أبو محمد بن حزم علي بن أحمد بن سعيد . صاحب المؤلفات الـكبيرة الهامة من (قرطبة) فقيه ـ أديب ـ محدث ـ حافظ . من مؤلفاته الشهيرة . (الملل في الاهواء والنحل) وكتاب (المحلى) في الحديث والسنة .

(٥٦) راجع/لسان الميزان ج ٣/١٦٣

ومعجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ص/٢٤٢ ـ ٢٤٥ وراجع ص/٥٣٣ ـ ٥٣٨ .

والمقري في (النفح) • وياقوت في (ارشاد الاريب) • وغيرهم كثيرون •

أما ناقدوه • فمنهم : ابن عميرة الضبي (في بغية الملتمس) •

وابن بشكوال في (الصلة) و (السيوطي) في (بغية الوعاة) •

ومن المتأخرين الذين قلدوا الاوائل • نذكر (حاجي خليفة) في (كشف الظنون) • وتنصب هجماتهم عليه ، بانه منتحل للشعر ، متهم بالسرقة الادبية ، وبالالحاف والسؤال •

ويبدو أن كثرة منافسيه ، ووفرة خصومه ، وسوء حظه ـ صب عليه الهجوم والتحامل • حتى عده (الدلجي) بطبقة (الفلاكه والمفلوكين)[٥٧] •

شاعريته وبداهته :

لصاعد اللغوي البغدادي ، شـــاعرية تفيض رقة ، وتتدفق عذوبة وجمالا • ولـكن هذه الشاعرية ، يعتريها احيـــانا الضعف ، نتيجة كد الذهن ، وحراجة الموقف ، التي يكون بها الشاعر •

وكان من أشد منافسيه وخصومه في المجالس الشعرية ـ ابن العريف ـ وابن سعيد المرواني ـ وعبدالله بن مسعود الغساني ـ والجزيري • وابن دراج •

ومن طرائف أشعاره • انه كان بين يدي المنصور فاحضـــرت اليه (وردة) في غير وقتها لم يتم فتح ورقها فقال فيها صاعد مرتجلا :

أتتـــك أبا عامـــر وردة يذكرك المســـك انفاسها
كعذراء ابصـــرها مبصر فغطت باكمامهـــا رأسها

فسر بذلك المنصور وكان (ابن العريف) حاضرا فحسده ، وجرى الى مناقضته وقال لابن عامر : هذا البيتان لغيره ، وقد انشدتيهما بعض البغداديين

---

(٥٧) راجع كتاب (الفلاكه والمفلوكين) ـ ومعناه قلة الحظ ـ وسوء الطالب • والمفلوكون ـ هم الذين ـ تعداهم الاقبال ، وبعدت عنهم السعادة • انظر/الـكتاب المذكور ص/٧٦ •

لنفسه بمصر • وهما عندي على ظهر كتاب بخطه • فقال المنصور أرنيه ، فخرج (ابن العريف) وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ما جرى • فقال هذه الابيات ودس فيها بيتي (صاعد)[٥٨] •

عشـــوت الى قصـــر عباسة ... وقـــد جدل النوم حراســـها
فالفيتهـــا وهي في خدرهـــا ... وقـــد صرع السكر اناســـها
فقالت : أســـار على هجعـــة ؟ ... فقلت : بلى فرمت كاســـها
ومـــدت يديهـــا الى وردة ... يحـــاكي لك الطيب انفاســـها
كعـــذراء ابصـــرها مبصـــر ... فغطـــت باكمامهـــا رأســـها
وقالت : خف الله لا تفضحنّ (م) في ابنـــة عمـــك عباســـها
فوليـــت عنهـــا على عفـــة ... ومـــا خنت ناسي ولا ناســـها

فطار ابن العريف بها ، وعلقها على ظهر كتاب بخط مصري ووري وتحيل بمداد اشقر • ودخل بها على المنصور فلما رآها اشتد غيظا على صاعد وقال : غدا امتحنه ، فان فضحه الامتحان ، لم يبق في موضع لي فيه سلطان • فلما أصبح وجه عنه بمجلس حفل ، وقد أعد طبقا فيه سقائف من خروب النواوير ووضع على السقائف جواري ياســـمين ، وتحت السقائف بركة ماء حصاها لؤلؤ ، وكان في البركة حية تسبح • فلما دخل صاعد مُثل الطبق بين يديه ؛ فقال له المنصور : ان هذا يوم اما ان تسعد فيه معنا ، واما بالضد عندنا • لانه قد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى ، وقد وقعت من ذلك على حقيقة • وهذا طبق ما توهمت أنه مُثل بين يدي ملك قبلي في شكله ، فصفه بجمع ما فيه • فقال (صاعد) بديهة (قصيدة) :

ابا عامر هل غير جدواك واكف ... وهل غير من عاداك في الارض خائف؟
يسوق اليك الدهـــر كل عجيبة ... واعجب ما يلقـــاه عندك واصف

---

(٥٨) راجع/عن أخبار صاعد وطرائفه وشاعريته ـ الذخـــيرة لابن بسام ج/١ القسم الرابع ص/٤ وما بعدها ـ والبيان المغرب ج ٢/و ج/٣ وجذوة المقتبس في ترجمة (صاعد) والمعجب كذلك ونفح الطيب ج ٤/٧٩ •

وشائع نور صاغها هامرا الحيا عليهـا فمنهـا عبقـر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلتْ عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظبـاء المستكينة كنسا تظللها بالياسـمين الشـعائف
واعجب منهـا أنهن نواظـر الى بركة ضمت اليها الظرائف
حصاها اللآلي ، سابح في عبابهـا من الوحش حتى بينهن السلاحف
ترى ما تشاء العـين في جنباتها من ابوحش حتى بينهن السلاحف

فاستغربت له يومئذ تلك البديهة ، وكتبها المنصور بخطه • وكان الى ناحيه سقيفة فيها جارية ، تجذف بمجاذف ذهب لم يرها صاعد ، فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية ، فقال :

واعجب منهـا غادة في سـفينة مكللة تصـبو اليها المهـايف
اذا راعها موج من الماء تتقي بسـكانها ما انذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربان مركب تصرف في يمنى يديها المجاذف ؟!
فلم تر عين في البـلاد حديقة تنقلهـا في الراحتين المناصف
ولا غرو ان شاقت معاليك روضه زهتهـا ازاهير الربا والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقـل متالع ورضوى ذرتها من سطاك العواصف
اذا قلت قولا أو بدهت بديهـة فكلني لهـا اني لمجـدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينار ومئـة ثوب ، ما بين غلائل وطيقـان وعمائم ، واجرى عليه المراتب من ذلك اليوم ثلاثين دينارا ، وألحق في ديوان الندماء مع زيادة الله بن مضر الطبني وابن العريف وابن التياني وغيرهم • »(٥٩)

ويعقب ابن بسام على هذه الحكاية بقوله :

« والحسد موروث ، وقديم لا حديث ، وليس في الحيوان ، أخبث في ذاته من الانسان • » ومعنى هذا ان كثرة حساد (صاعد) ، وقرب منزلته ، من حكم الاندلس يومذاك ابن أبي عامر • جعله محاطا بالمضايقات ،

---

(٥٩) راجع/الذخيرة – ص ١٠ و١١ في القسم الرابع ج ١/وفي نفح الطيب ج ٤/ ٨٠ مع اختلاف بسيط •

والمفتريات ، تراقبه أعين الحساد ، وتشد عليه أنفاس المزاحمين • وفي مختلف النصوص الادبية الشعرية ـ دلائل بينة ، وبراهين واضحة على رقة شاعريته ، ولطافة روحه ، وسرعة بديهته •

هذا بالاضافة الى طلبات المنصور منه في معارضة كبار شعراء المشارقة ، كأبي نواس[٦٠] في قصيدته « أجارة بيننا ابوك غيور » في مدح (الخصيب) فأبى صاعد ذلك اجلالا لابي نؤاس • فعزم عليه المنصور فأنشده متمثلا :

اني لمستحي عـلا ك من ارتجال القول فيه
من ليس يـدرك بالرو يـة كيف يدرك بالبديه

فلم ينفعه ذلك عنده ، ومكث فيه بقية يومه وليلته وجاءه من الغد فأنشده قصيدته التي أولها :

« جذال الشـرى اني بكن بصير طوتكـن عني خلسة وقتـير »

ومن لطيف شعره :[٦١]

قلت لـه والرقيب يعجـله مودعـا للفـراق : أين أنا
فمـد كفـاً الى ترائبـه وقال : سر وادعا فانت هنـا

كما أن له كذلك قصيدة عامرة طويلة نظمها عام سنة ٣٩٠هـ في انتصار (ابن ابي عامر) باحدى غزواته ، المظفرة على ملوك الاسبان •

ويقول عنها ابن الخيب بانها « من أفخر شعره » منها :

جددت شكري للهوى المتجدد وعهدت عندك منه ما لم يعهد
اليوم عاش الدين وابتدأ الهدى غضا وعـاد الملك عذب الورد
... ورأوك فارتدوا على اعقابهم مثـل ارتداد تنفس المتنهـد
... ما ناجزوك ومن الخوانج موضع لتبصـر ومكـانة لتجلـد[٦٢]

واستمر الشاعر في خدمة (الدولة العامرية) واتصل بأولاد (المنصور) ومنهم عبدالملك (المظفر) الذي تولى الحكم سنة ٣٩٢هـ الا ان اندفاعه ،

---

(٦٠) راجع/الذخيرة ص ١٣ وما بعدها •
(٦١) راجع النفح ج/٤ ص ٩٥ •
(٦٢) تاريخ سبانيا المسلمة ـ لابن الخطيب ـ نشر بروفنسال /ص ٧٢ •

وجه ، وشاعريته ، أصابها بعض الفتور • وأصبحت رهينة المناسبات العابرة • وقد أثبت له ابن عذاري في (بيانه) والمقري في (نفحه) بعض النفحات الشعرية • التي أنشدها بين يدي أولاد (المنصور) وخاصة (عبدالملك المظفر العامري) وكان هذا من هواة جمع الرياحين والورود • في قصره يقترح على الشعراء أن ينظموا في هذا الحقل ويعطيه لقيانه ينشدنه ويغنيه في مجالس الخاصة • ومن جميل شعر (صاعد) بهذا الباب قوله من أبيات في وصف (البنفسج) :

••• « يزري اذا احتست المعاطس ريحه
بنسيم غالية وفوح عبير
يحكى قميص الفجر لون أديمه والقرص في خد الملاح الحور[٦٣]

ومن جيد شعره في وصف (الورد) قوله من أبيات :

... شبهته وسقيط الطل تحدره عنه الرياح وقد مدت اليه يدا
بخد ذي خجل أنكته خجلته حتى تفرق فيه دمعه بددا[٦٤]

أما نثره ـ

فلا يقل روعة عن شعره الا ان الباقي في المصادر منه قليل • فمن رسالة له يستنجد بأحد الفرسان بالاندلس المسمى (علي بن وداعة) حينما ضاقت به الاحوال وطولب بما أخذه من مال ـ بعد انقضاء حكم العامريين قال :[٦٥] وفيها يشير الى نسبه من (ربيعة) وقرابته من علي بن وداعة • « اني على وهني ، وما أخذه الدهر مني ، ونحته من قدحي لأربأ بالفضل ان ينحط ا لافي مضانه ، ويحل في غير معانه ، فلم أحوم على أحد طير رجائي ، ولا رمقت بأملي الا من نوه الله باسمه • وناسب بين أحواله ، وشابه بين خلاله ، فسبحان من جعل سنانك عدل لسانك ، وبيانك كفء

---

(٦٣) راجع/البيان المغرب ج ٣/ص ١٩ ـ ٢٠ •
(٦٤) المصدر السابق •
(٦٥) الذخيرة ج/١ قسم/٤ ص/٣٧ وما بعدها •

طعانك ـ فالالسن تتنادم على وصفك ، والقلوب تعاقر خمرة حبك ، خيبة أذاعها الله منك ، وذخيرة أبرزها الدهر بك » • ثم يشير الى قرابته : « وأنا ابن عمك من ربيعة ، اذ هي وسليم أحلاف ، فالعدنانية تلفنا ، والنسب يضم شعبنا • »

آثاره ومؤلفاته :

شغلت (صاعد) المجالس الادبية ، والحياة اللاهية الناعمة ، في مجتمع الاندلس الجديد عليه • فلم ينصرف الى التأليف الذي يتصف بالعمـــق والروية • وهذه احدى المآخذ التي أخذها عليه خصومه وأعداؤه • وقد أراد (المنصور) ان يجعله بمثابة (أبي علي القالي) في عصر (الناصر) عبدالرحمن • فطلب منه أن يملي محاضراته في جامع (الزاهرة) ويؤلف كتابا تجمع مواده ، وتناقش آراؤه في محضر العلماء والادباء الاندلسيين • فقام بهذه المهمة ، وألف كتابه (الفصوص) على غرار كتاب (النوادر)[٦٦] • ولـكن ادباء العصر ـ تتبعوه « فلم تمر فيه كلمة زعموا صحتها عندهم ، ولا خبر تبت لديهم • »

واستمر النقد اللاذع على كتاب (صاعد) وعلى مؤلفه • حتى كثرت الاخبار عن مصير هذا الـكتاب • وذكر ان المنصور أمر باخراج هـــذا

---

(٦٦) يشير صاحب (الذخيرة) بانه طلب منه أن يضع كتابا على غرار (النوادر) لابي علي القالي • راجع ص/٧ • ويذكر ابن بشكوال ص/٢٣٥ عن كتاب (الفصوص) بأنه الفه عام سنة ٣٨٥هـ في ربيع الاول ، وأكمله في رمضان من العام نفسه • وأثابه عليه بـ (٥٠٠٠) دينارا وقد قرأه عليه (ابن حيان) عام سنة ٣٩٩هـ • وقد ذكر (بروكلمن) في الطبعة العربية ص/١٤٩ ج/٣ بأنه نحا فيه نحو (الامالي) للقالي • وهذا اختلاف عن الرواية الاندلسية •

ومن كتاب (الفصوص) مخطوطة فريدة (بمكتبة القرويين بفاس) كما ذكر ذلك (بروكلمن) ج ٣/ص ١٤٩ و (الندوي) في (تذكرة النوادر) عن المخطوطات العربية ص/١٢٩ • وقد شرح علاءالدين علي بن النفيس ٦٨٧/١٢٨٨هـ هذا الـكتاب •

الكتاب من محضره وان يلقى في نهر قرطبة (الوادي الكبير) • فقال أحد خصومه ولعله (ابن العريفٌ) متشفيا

فد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقيل يغوص

فأجابه صاعد مرتجلا :

عاد الى معدنه انما توجد في قعر البحار الفصوص(٦٧)

و (للبغدادي) صاعد كتابان آخران هما أشبه بالقصص والروايات المجلسية ، خصّصها ووضعهما لسمر ليالي ابن ابي عامر هما : كتاب « الجواس » بن معطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء » وكتاب « الهجفجف » بن غيدقان مع الخنوث بنت محرقه »(٦٨) •

هجرته من الاندلس ووفاته :

بعد ان أصاب (الدولة العامرية) ما أصابها من نكبات وشدائد ، وقضى على اسرتها ، في ثورة (البربر) عام ٤٠٠هـ المسمى (بعام الفتنة) • حيث دخلوا (قرطبة) واحتلوها وقتلوا نخبة من علمائها أمثال (ابن الفرضي) وغيره • تشتت الاتباع والانصار • وحل بهم ما حل بأسيادهم • صاعدا ذلك ففر مستخفيا من العاصمة وقصد مستجيرا (بأبي زيد البكري) ومنه قصد (صقلية) • فتحسن حاله عند صاحبها ، وذهب عنه خوفه ، وبؤسه ، ثم رجع لحمل أهله في قرطبة والبربر فيها ، والخليفة (سليمان الاموي) يحكمها • تعرض صاعد لمدحه ، ولم تنجح محاولاته في استمالته • فأستعجل الرجوع الى (صقلية) • وظل فيها ـ بعد « ان تناحرت خلال المكروه فيما بعد على صاعد بارتجاج الفتنة ، غلاء سعر ، ورخص شعر • حتى اختل وعجز

---

(٦٧) يذكر خبر الكتاب وسقوطه في النهر ـ من يدى غلام (صاعد) صاحب المعجب ـ ويشير الى الرواية المذكورة صاحب (النفح) و (جذوة المقتبس) •

(٦٨) راجع ـ بروكلمن الطبعة العربية ج ص ومعجم المؤلفين لكحالة ج ٤ ص/٣١٨ دمشق •

عن ستر ولده واهله . »[٦٩]

وهكذا انطوت بذلك صفحة أديب عراقي عربي . كان يحب بلاده ، ويذكرها في كل مجال ومقال ـ بمدينة كقرطبة هي « ميدان جياد ، وبلد جدال وجلاد »[٧٠] . وأثبت هذا الحب ، والمدح . ابن بسام في ذخيرته فقال :

« وكان صاعد كثيرا ما يمدح بلاد المشرق بمجلس المنصور ويباهي بأخبارها . ووصف اشربتها وديارها .

ان في الذخائر العـــربية الاندلسية صورا رائعـــة تستحق البحث والدراسة . سوف يكشف عن سر عظمتها ، وسيبدو جمال جوهرها . ولا غرابة في ذلك فهي من كنوز العرب الخالدة هناك . ومن مواطن مجدهم التالد ، وعملهم الخالد . ولا تزال حتى هذه الساعة ترفرف عليها محبتهم . وتتناجى في جوانب آثارها ذكرياتهم .

ولا اخال ان الزمن يظن عليهم في مخفيات مستقبلة ، أن يعيد لهم تلك الفراديس الزاهرة ، والديار العامرة ، والمجالس العلمية الغراء باصالتها وعروبتها . اذا تظافرت الهمم ، وتساندت القلوب ، وتشابكت الايدي ، وتلاحمت السواعد ؟

---

(٦٩) راجع أخباره . في الذخيرة/ص ٣٨ . ونوادره عند (مجاهد العامري) في (دانية) ـ وزيارته (لابي زيد البكري) في (شلطيش) .

(٧٠) راجع/الذخيرة/ص ٨ القسم الرابع ج/١ و ص/١٦ .

مصادر البحث ومراجعه

أ ـ المصادر القديمة :

١ ـ انباه الرواة ـ للقفطي ـ ط ١/دار الكتب المصرية/١٩٥٢
٢ ـ الذخيرة ـ لابن بسام ط ١/لجنة التأليف والترجمة والنشر/١٩٤٥
٣ ـ المعجب ـ للمراكشي ط ١/١٩٤٩ · مصر
٤ ـ أعمال الاعلام ـ لابن الخطيب ـ نشر بروفنسال ط ٢/١٩٥٦ بيروت
٥ ـ بغية الوعاة ـ للسيوطي ـ ط ١/١٣٢٦ مصر
٦ ـ بغية الملتمس ـ للضبّى ط/مجريط/١٨٨٤
٧ ـ روضات الجنات ـ ط ٢/ايران ـ للخوانساري ١٣٤٧هـ
٨ ـ نفح الطيب ـ للمقري ـ ط ١/القاهرة ـ ١٩٤٩ تحقيق محمد عبدالحميد
٩ ـ معجم الادباء ـ لياقوت الحموي ط/دار المأمون نشر الدكتور رفاعي /١٩٣٦
١٠ ـ جذوة المقتبس ـ للحميدي القاهرة/ط ١/١٩٥٢ تحقيق محمد الطنجي ·
١١ ـ لسان الميزان ـ لابن حجر العسقلاني ـ ط/حيدر آباد الدكن ١٣٣١
١٢ ـ الصلة ـ لابن بشكوال ط ١/مجريط/١٨٨٢
١٣ ـ جمهرة أنساب العرب ـ لابن حزم القرطبي ـ نشر بروفنسال ـ ١٩٤٨ القاهرة
١٤ ـ البيان المغرب ـ لابن عذاري المراكشي ج ٢ ط بيروت/١٩٥٠ و ج ٣ باريس/١٩٣٠
١٥ ـ نزهة الالباء ـ للانباري ط/بغداد/١٩٥٩ تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي
١٦ ـ معجم ما استعجم ـ لابي عبيد البكري ـ نشر لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة تحقيق مصطفى السقا
١٧ ـ وفيات الاعيان ـ لابن خلكان ـ نشر محمد محي‌الدين عبدالحميد القاهرة/١٩٤٨
١٨ ـ شذرات الذهب ـ لابن العماد الحنبلي ـ مصر ١٩٥٠ ·
١٩ ـ طبقات النحويين واللغويين ـ لابي بكر الزبيدي ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم/١٩٥٤ القاهرة
٢٠ ـ معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار صادر وبيروت/١٩٥٥
٢١ ـ الروض العطار · نشر ليفى بروفنسال/للحميري ـ القاهرة ـ لجنة التأليف والترجمة/١٩٣٧
٢٢ ـ المغرب في حلى المغرب ـ لابن سعيد المغربي · تحقيق الدكتور شوقي ضيف/١٩٥٣
٢٣ ـ ديوان ابن دراج القسطلي ـ تحقيق الدكتور محمود علي مكي ـ دمشق ط ١/١٩٦١

ب ـ المصادر الحديثة :

٢٤ ـ الفكـر الاندلسي ـ لبلانثيا ـ ترجمـة الدكتور حسين مؤنس ـ القاهرة/١٩٥٥

٢٥ ـ الحلل السندسية ـ للامير شكيب ارسلان ـ ط ١/١٩٣٩ مصر

٢٦ ـ كشف الظنون ـ لحاجي خليفة

٢٧ ـ الفلاكه والمفلوكين ـ لاحمد الدلجي سنة ١٩٠٤ القاهرة

٢٨ ـ منصور الاندلس ـ لعلي أدهم ـ سلسلة اعلام الاسلام

٢٩ ـ النظم الاسلامية ـ للدكتورين حسن ابراهيم واخيه ط/١٩٣٩

٣٠ ـ ابن حزم ـ صور اندلسية ـ دار الفكر العربي ـ للدكتور طه الحاجري مصر

٣١ ـ نظرات في تاريخ الادب الاندلسي ـ لـكامل كيلاني/١٩٢٤ مصر

٣٢ ـ أدباء العرب ـ لبطرس البستاني سنة ١٩٣٧ بيروت

٣٣ ـ في الادب الاندلسي ٠ للدكتور جودة الركابي/١٩٦٠ مصر

٣٤ ـ تاريخ الادب الاندلسي ـ للدكتور احسان عباس ١٩٦١ بيروت

٣٥ ـ دولة الاسلام في الاندلس ـ الـكتاب الثالث ـ محمد عبدالله عنان /١٩٥٥ مصر

٣٦ ـ تاريخ الادب العربي ـ لـكارل بروكلمن ـ ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار ج/٣/١٩٦٢ مصر

٣٧ ـ محاضرات في الادب الاندلسي وتاريخها ـ بروفنسال ـ القاهرة سنة ١٩٥٢ ترجمة ابو شعيرة

٣٨ ـ الشرق الاسلامي والحضارة العربية الاندلسية ـ تطوان ـ لبروفنسال ترجمة البستاني/١٩٥١

٣٩ ـ معجم قبائل العرب ـ لعمر كحالة ١ ط/دمشق ١٩٤٩

٤٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية الطبعة العربية ـ ترجمة عبدالحميد يونس وجماعته ط ١/١٩٣٧ ٠ مصر

(ج) المصادر الاجنبية

41— Brockelmann S. I. 254

42— Francisco Pons No. 79 - Madrid 1898